

## التعريبُ الفكريّ واللّغويّ للعلوم الأساسيّة والتطبيقية المفهوم والضرورات والأدوات

د. عيسى العاكوب(\*)

في فضاء القضية:

يعني التعريبُ في المعنى الذي نقصد إليه في هذه الورقة جعلَ العربيةَ لغةً للتفكير والتصور والتخيّل، ولغةً للتدريس والبحث العلميّ، والإنشاء والتأليف في الأفرع الدراسيّة المختلفة للعلوم الأساسيّة والتطبيقية في الجامعات ومؤسسات البحث العلميّ العربيّة. فقد ظلّت العربيةُ ردحًا من الزمن لغةَ الحياة المائجة بالتفكير والإبداع والإنتاج المعنويّ والمادّيّ والتعامل اليوميّ. وكان لعلماء الإسلام في عصر الازدهار العربيّ الإسلاميّ أن يهضموا علومَ الأقدمين في أصقاع الأرض مجتمعةً، وأن ينقلوها إلى لغتهم العربيّة، لتتداولها أجيالٌ من المتعلّمين في لغتها العربيّة، وتدركَ دقائقها وعناصرها، وتضيفَ إليها في مسيرة الحياة العلميّة العربيّة

---

(\*) عضو مجمع اللغة العربية بدمشق.

الإسلامية منجزاتٍ علميةً كثيرة، حفظتها لنا الكتبُ المخطوطةُ التي وصل إلينا شطرٌ منها لا يُستهان به في تخصّصاتٍ مختلفة. وقد تكوّن لدى العرب عبر التاريخ تقليدٌ راسخٌ في لغة العِلْمِ يورث الفكرَ والدقائق العلمية بلُغة علميةً متخصصة، تراعي التعبيرات الاصطلاحية الخاصة بكلِّ علمٍ من علوم الزمان الذي كانت فيه. ولأنه قُيِّضَ لأمة العرب أن تغدو وريثة حضارات العالم القديمة، اليونانية والهندية والفارسية والآرامية، وأن تستوعب لغتهم العربية علومَ هذا العالم، عمِلَ ذلك على ارتقاء الحياة العلمية العربية وازدهارها زماناً غير يسير، وعلى نماء اللغة العربية نفسها واتساع نطاق معالجتها العلمية والفكرية واثراء معجمها اللغوي.

لكنّه أتى على العرب حينٌ من الدهر انشغلوا فيه بمواجهة حملاتٍ متوالية استهدفت وجودهم ومحتهم، وتغييب كلِّ ما من شأنه أن يُبقيهم أمةً حيّةً تتفاعل مع العالم؛ تأخذ منه ما تنتفع به، وتقدّم إليه ما يمكن أن يكون في حاجة إليه. وقد استفاق العربُ بعد سُبَاتٍ دام طويلاً ليجدوا أنفسهم أمام عالمٍ متقدّم جدًّا عليهم في مسالك العلوم الأساسية والتطبيقية. وهو عالمٌ فرض عليهم أن يستفيدوا من منجزاته العلمية وتقاليدِه الراسخة في المعارف المختلفة ومآثره المدوّنة بلُغاته هو. والمستلزمُ الأوّلُ للحاق بركب هذا العالم المتقدّم علمياً هو تعليمُ أبناء العرب العلومَ الأساسية والتطبيقية الأجنبية بلُغتهم العربية؛ لأنّ الأمر كما يقول عالمٌ غربيٌّ أسهم في إدخال علوم الغرب الطيبة إلى البيئة العلمية العربية منذ وقت مبكر: «التعليمُ بلُغة أجنبية لا تحصل منه الفائدة المنشودة، كما

لا ينتج عنه توطيئُ العِلْمِ أو تعميمُ نفعه»<sup>(١)</sup>.

وستقف هذه الورقة عند النقاط الآتية:

- ١ - شمسُ العربية التي لن تأفل.
- ٢ - أهليةُ العربية لأن تكون لغةَ العِلْمِ والتَّعليمِ والبحثِ العلميِّ والتَّقانةِ.
- ٣ - التعريب المنشود في هذه الورقة:
- التعريب الفكريّ.
- التعريب اللغويّ.
- ٤ - ضرورات هذا التعريب.
- ٥ - أدوات هذا التعريب.
- ٦ - خلاصة ومحصّل نهائيّ.

وستتناول هذه النقاط بقدرٍ مناسب من التفصيل.

أولاً - شمسُ العربية التي لن تأفل:

يدنو الامتدادُ الزمانيّ لاستعمال هذه اللّغة الشريفة من الستّة عشر قرنًا، قيّض لها فيه أن تشهد أعصارًا من الازدهار والنّماء وفتراتٍ من الرّكود والجمود. لكنّها على امتداد هذا الأفق الزمانيّ المديد اكتسبت من المتحدّثين بها من غير أهلها ما لم تكتسبه لغاتٌ كثيرة. وكان لتنوّع أجناس الطّارئین عليها واختلاف

---

(١) هذا القولُ للسيد كلوت بك (١٧٩٣ - ١٨٦٨ م)، الطيب الفرنسي الذي كلّفه محمّد عليّ بالإشراف على مدرسة الطبّ في مصر. انظر في شأنه: قاسم سارة: التعريب، جهودٌ وآفاق، دار الهجرة في دمشق وبيروت، ١٤٠٩هـ/١٩٨٩م، ص ٥٣ وما بعد؛ ومحمود فوزي المناوي: أزمة التعريب، مركز الأهرام للترجمة والنشر، القاهرة ١٤٢٤هـ/٢٠٠٣م، ص ٤٦.

ثقافتهم وتباين لغاتهم الأصلية، أن أكسبتها من مورثات العبقريّة وعناصر الطّاقة البيانيّة والمرونة الاستعماليّة ما يجعلها أقدر على النهوض بالحاجات التعبيريّة المختلفة. ولا ينبغي البتّة، ومهما كانت الذّريعة، التقليل من شأن اعتقاد العربيّ والمسلم أنّها «اللّسان العربيّ المبين»<sup>(٢)</sup>.

وثمة ملحظ مهمّ هنا؛ وهو أنّ هذه اللّغة حالها كحال الشّمس، ما تكاد تغيب حتّى تطلع، وما يكاد ضياؤها يجبو حتّى يسطع. وآيات هذا الذي ندعي ماثلة لكلّ ذي بصيرة يتدبّر تاريخ العرب والمسلمين. وإذا كان لزمان العربيّة وحياتها المديدة أشثيّة (جمع شتاء) فإنّ لها أربعة (جمع ربيع) أيضًا. وقد يجادل بعض المسلمين، في عصر طغيان التفكير المادّيّ وغلبته، في حفظ الله العربيّة وكلاءتها بتقيضه لها حُفاظًا وخرزنةً وحُماةً، لكنّ شمس الحقائق لا تغيبها غيوم الميول والأهواء. وقد كان هذا شعورًا مستحکمًا لدى أبناء هذه الأمة زمنًا طويلًا، وليس من النّصفة ولا من الحميّة الإيمانيّة إهمال أهمّيته في هذا الزمان الذي نعيش فيه. ولعلّ النصّ الآتي المقتبس من مقدّمة «فقه اللّغة وسرّ العربيّة» للشّالبيّ (ت ٤٢٩م) ممثّل قويّ لهذا الشّعور الغلاب الذي يمكن استشهاده الآن في بعث الثقة في النفوس؛ وسنورده على طوله:

«ولما شرّفها الله عزّ اسمه وعظّمها، ورفع خطرَها وكرّمها، وأوحى بها إلى خير خلقه، وجعلها لسان أمينه على وحيه، وخلفائه في أرضه، وأراد بقاءها

(٢) هذا وصف المولى، سبحانه، للسان الذي نزل به القرآن، وهو اللّسان العربيّ؛ إذ قال تعالى في شأن القرآن: «نزل به الرّوح الأمين. على قلبك لتكون من المنذرين. بلسان عربيّ مبين» (الشعراء، ١٩٣ - ١٩٥). و«العربيّ» هنا الفصيح البين. انظر: الرّاغب الأصفهانيّ: مفردات ألفاظ القرآن، مادّة «عرب».

ودوامها، حتى تكون في هذه العاجلة لخيار عباده، وفي تلك الآجلة لساكني جنانه ودار ثوابه، قيض لها حَفْظَةً وَخَزَنَةً من خيار النَّاسِ وأعيان الفضل وأنجم الأرض، تركوا في خدمتها الشّهوات، وجابوا الفلوات، ونادموا لاقتنائها الدفاتر، وسامروا القماطر والمحابر، وكدّوا في حَصْرِ لغاتها طباعهم، وأسهروا في تقييد شواردها أجفانهم، وأجالوا في نَظْمِ قلائدها أفكارهم، وأنفقوا على تخليد كُتُبها أعمارهم؛ فعظمت الفائدة، وعمت المصلحة، وتوقرت العائدة.

وكلّما بدت معارفها تنتكر، أو كادت معالمها تستر، أو عرض لها ما يشبه الفترة، ردّ الله تعالى لها الكرة؛ فأهب ريحها، ونفق سوقها، بفرّد من أفراد الدهر أديب، ذي صدر رحيب، وقريحة ثاقبة، ودراية صائبة، ونفس سامية، وهمّة عالية؛ يُحِبُّ الأدب ويتعصب للعربية، فيجمع شملها، ويكرم أهلها، ويحرك الخواطر الساكنة لإعادة رونقها، ويستشير المحاسن الكامنة في صدور المتحلّين بها، ويستدعي التأليفات البارعة في تجديد ما عفا من رسوم طرائفها ولطائفها...»<sup>(٣)</sup>.

ويُفَضِّي تاملُ هذا النصّ إلى الشّطر من عقيدة المسلم الذي يذهب إلى أنّ حِفْظَ لُغَةِ الدُّكْرِ، أو القرآن، مصدره في الأساس حِفْظُ الدُّكْرِ نفسه؛ هذا المعنى الذي عبّر عنه القرآن الكريم في صيغة غاية في التأكيد والإثبات: ﴿إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ﴾<sup>(٤)</sup>

(٣) إسماعيل الثعالبي النيسابوري: فقه اللغة وسرّ العربية، تحقيق مصطفى السقا وزميليه، مكتبة

مصطفى البابي الحلبي، القاهرة ١٣٩٢هـ/ ١٩٧٢م، ص ٢٢.

( ) سورة الحجر: ٩.

على أن تعهد العربية بالحفظ الإلهي لا ينبغي، في حال، أن يكون مدعاةً إلى التّراخي في ابتغاء الوسائل وتطلب الأدوات واستعمال الممكنات فيما يضمن حفظ هذه اللّغة بجعلها لغة الحياة بمجالها المختلفة ومستوياتها المتبانية. وأنجع هذه الوسائل والأدوات والممكنات، في هذا الزمان الذي يُظننا، جعلها لغةً للتّفكّر والإبداع والتدريس والبحث العلميّ في العلوم الأساسيّة والتطبيقية.

ثانيًا - أهلية العربية لأن تكون لغة العِلْم والتعليم والبحث العلميّ والتّقانة:

يبدو أنّ روح الهزيمة حين يتسلّل لواءًا إلى النفوس يفتك، من جملة أشياء كثيرة، بالقدرة على التمييز لدى المجموعة البشرية التي يشيع بين أفرادها، ويُفقدُها الفطنة إلى عناصر القوّة التي تمتلكها. وكثيرًا ما تقول لنا الحياة إنّ مطرودين مُلاحقين نسوا ما يحملون من سلاح أو أدوات دفاع كان في مقدورهم، لولا الإحساس بالهزيمة، أن يحموا باستعمالها أنفسهم، ويدفعوا عنهم أذى عدوّهم.

وإنّ شيئًا كثيرًا من هذا الإحساس وجد سبيله إلى النّفس العربيّة، فراح كثيرٌ من العرب يحسبون أنّ الإسلام والعروبة واللّغة العربيّة أسبابٌ أساسية لتخلف العرب، في كلّ شيء، وفي الفكر والعِلْم والبحث العلميّ خاصّة. والذي يهمننا الحديث عنه هنا، هو تصوّر بعض العرب أنّ لغة الفكر المتألق والعِلْم المتقدّم والابتكار في تسخير الطّاقات والموارد هي لغاتٌ من يتقدّمون اليوم بركب العِلْم ويضيفون في كلّ ساعةٍ إلى بُنيانه ويكتشفون مناطق عملٍ جديدة له. أمّا العربيّة، عند هؤلاء، فالمركبُ القديم الذي ينبغي أن يبقى عند الشاطئ لعدم قدرته على الإبحار. ولعلنا نجد تعبيرًا شعريًا تخيليًا جيّدًا عن هذا في بيت شاعر العربيّة الكبير في العصر الحديث عمر أبي ريشة الذي يقول:

هانَتِ الخَيْلُ على فُرسانِها وانطوتُ تلكَ السِّيوفُ القُطْعُ<sup>(٥)</sup>

نعم، قد يحدث في تواريخ الأمم أن تُهزم الأمةُ فتنسى كلَّ عناصر القوَّة والبناء والتَّسامي التي تمتلكها، وتخالُّ أن سبيلَ الفلاح هي سبيلُ القاهر الغالب. وفي المجال الذي نحن إزاءه هنا، يترأى لكثيرين أنَّ العربيَّة ليست مؤهَّلةً لأن تكون لغةَ العِلْم والبحث العلميِّ والتَّقانة الحديثة، وينبغي تنحيُّها عن هذا المجال وتحاميتها وإفراؤها أفرادَ البعير المعبَّد في بيت شاعر المعلِّقات<sup>(٦)</sup>. والذي نرانا في حاجةٍ إلى التذكير به في هذه المندوحة، أنَّ كلَّ مَنْ لديه خبرةٌ متواضعةٌ بلُغةٍ أو أكثر غيرِ العربيَّة يعلم علمَ اليقين أنَّ العربيَّة هي اللُّغة الصالحةٌ لاحتضان العِلْم والبحث العلميِّ والتَّقانة. وإذا كان من المتفق عليه بين أهل الدِّراية أنَّ أبرزَ خصائص لغة العِلْم تضمُّنها أسماءٌ لكلِّ جزئيات الأشياء وتنويعاتها الدَّقيقة، وقابليَّتها لأن توجد الأسماء لكلِّ المسمَّيات، فإنَّ لدى العربية في القديم الشيءَ الكثير من هذا. ولأنَّ الذِّكْرَى تنفعُ المؤمنين، سأوردُ مثالين لمخزون العربيَّة الكبير في الأسماء المختلفة للأشياء المختلفة، مهما كان الاختلاف ضئيلاً أو دقيقاً. والمثالان من «فقه اللُّغة وسِرِّ العربيَّة» للثعالبيِّ.

أما المثالُ الأوَّلُ فقولُه تحتَ عنوان «في أوائل الأشياء وأواخرها»:

«الصُّبْحُ أوَّلُ النَّهار. الغَسَقُ أوَّلُ اللَّيل. الوَسْمِيُّ أوَّلُ المطر. البارِضُ أوَّلُ النَّبت. اللُّعاعُ أوَّلُ الزَّرع. اللَّبأُ أوَّلُ اللَّبن. السُّلافُ أوَّلُ العصير. الباكورةُ أوَّلُ

(٥) ديوان عمر أبي ريشة، دار العودة، بيروت، ١٩٩٦م، ص ٢٦.

(٦) جاء معنى إفرا د البعير المعبَّد، أي المطيَّ بالقطران مداواة جَرِّه، في قول طرفة بن العبد البكري:

إلى أنَّ نَحامَتني العَشيْرَةُ كُلَّها وَأُفْرِدْتُ إِفْرادَ البُعيرِ المَعْبَدِ

الفاكهة. البِكرُ أوَّلُ الوُلْدِ. الطَّلِيعَةُ أوَّلُ الجِيشِ. النَّهْلُ أوَّلُ الشُّرْبِ. النَّشْوَةُ أوَّلُ السُّكْرِ. الوَخْطُ أوَّلُ الشَّيْبِ. النَّعَّاسُ أوَّلُ النَّوْمِ. الحَافِرَةُ أوَّلُ الأَمْرِ. الفَرَطُ أوَّلُ الوُرَادِ. (وفي الخبر: أنا فَرَطُكُمْ على الحوض، أي أوَّلُكُمْ). الزُّلْفُ أوَّلُ ساعاتِ اللَّيْلِ (٧).

وأما المثال الثاني فقوله في أسماء أوجاع الأعضاء:

إذا كان الوجعُ في الرَّأسِ فهو صُدَاعٌ. فإذا كان في شِقِّ الرَّأسِ فهو شَقِيقَةٌ. فإذا كان في العينِ فهو عَائِرٌ. فإذا كان في اللِّسانِ فهو قُلاَعٌ. فإذا كان في الحَلْقِ فهو عُدْرَةٌ ودُبْحَةٌ... فإذا كان في العنقِ فهو كَبَنٌ وإِجْلٌ. فإذا كان في الكَبِدِ فهو كُبَادٌ. فإذا كان في البطنِ فهو قُدَادٌ. فإذا كان في المفاصلِ واليَدَيْنِ والرِّجْلَيْنِ فهو رَثِيَةٌ. فإذا كان في الجسدِ كلِّه فهو رُدَاعٌ.

فواحزني، وعاودني رُداعي وكان فراقُ لُبْنَى كالحِخْدَاعِ (٨)

وعند أهل العِلْمِ، يُظهِرُ المِثَالانِ الذَّخِيرَةَ العِلْمِيَّةَ لِللُّغَةِ العَرَبِيَّةِ فِي الأَزْمَنَةِ الأُولَى؛ وَهِيَ ذَخِيرَةٌ تُؤَدِّنُ بِأَنَّهُ كَأَنَّ العَرَبِيَّ لَمْ يَكُنْ لَهُ شُغْلٌ غَيْرُ تَعَرُّفِ الأَشْيَاءِ وإِعطائِها أَسْمَاءً تَدلُّ عَلَيْهَا. وَليسَ العِلْمُ، فِي جَانِبٍ مِنْ جَوَانِبِهِ، إِلا كَشْفًا للأَشْيَاءِ وَتَشخِصًا لها وإِعطَاءَها الأَسْمَاءَ الدَّالَّةَ عَلَيْهَا المَبِينَةَ لها. فَقابِلِيَّةٌ أَنْ تَكُونَ العَرَبِيَّةُ لُغَةً العِلْمِ وَالتَّعْلِيمِ وَالبَحْثِ العِلْمِيِّ وَالتَّقَانَةَ كَبِيرَةً جَدًّا. وَلا يُحْتَاجُ فِي هَذَا المِجَالِ إِلا إِلَى أَنْ تُزَجَّ العَرَبِيَّةُ فِي تَيَّارِ الحَيَاةِ العِلْمِيَّةِ الدَّفَاقِ، وَتُوكِّدَ عَقِيدَةَ أَنَّهَا

(٧) فَهَّه اللُّغَةُ وَسِرُّ العَرَبِيَّةِ، ص ٥٤.

(٨) السَّابِقِ، ص ١٤٣.

وَحَدَّهَا لُغَةُ الْعِلْمِ وَالْبَحْثِ الْعِلْمِيِّ وَالتَّقَانَةَ فِي الْجَامِعَاتِ وَمُؤَسَّسَاتِ الْبَحْثِ الْعِلْمِيِّ وَالْإِنْتِاجِ الْمَادِّيِّ وَالْفِكْرِيِّ عِنْدَ الْعَرَبِ. وَحِينَ تَتَوَفَّرُ هَذِهِ الْعَقِيدَةُ، وَتُفْرَضُ الْعَرَبِيَّةُ وَحَدَّهَا لُغَةُ فِي الْمَجَالَاتِ الْمُتَحَدِّثِ عَنْهَا هُنَا، سَيُسْفَرُ الْعَمَلُ عَنْ كَشُوفِ مَذْهَلَةٍ؛ لِأَنَّ أَقْوَى الْكَشُوفِ وَأَعْمَقَهَا وَأَخْطَرَهَا شَأْنًا إِنَّمَا يُوصَلُ إِلَيْهَا تَحْتَ وَطْأَةِ الْحَاجَاتِ الْعَمَلِيَّةِ وَالضَّرُورَاتِ التَّطْبِيقِيَّةِ. وَلَعَلَّهُ مِنْ حَقَائِقِ تَارِيخِ الْعِلْمِ الْكَبِيرَةِ مَا تَعَبَّرَ عَنْهُ الْمَقُولَةُ الشَّهِيرَةُ: «الْحَاجَةُ أُمُّ الْإِخْتِرَاعِ». وَمَا أَجْمَلَ مَا يَقُولُ شَاعِرُ الْإِسْلَامِ الْكَبِيرِ مُحَمَّدُ إِقْبَالَ (ت ١٩٣٨ م) فِي الْمَعْنَى الَّذِي نَتَحَدَّثُ عَنْهُ:

دَعِ الشُّطْرَانَ لَا تَرْكُنْ إِلَيْهَا      ضَعِيفٌ عِنْدَهَا جَرَسُ الْحَيَاةِ  
عَلَيْكَ الْبَحْرَ صَارِعٌ فِيهِ مَوْجًا      حَيَاةُ الْخُلْدِ فِي نَصَبِ ثَوَاتِي

فَكَأَنَّ أَسْرَارَ الْأَشْيَاءِ لَا تُكْتَشَفُ إِلَّا فِي خِضَمِّ الْحَيَاةِ الْعَمَلِيَّةِ وَالتَّجْرِبِ وَالْمَهَارَسَةِ. وَاكْتِشَافُ أَهْلِيَّةِ الْعَرَبِيَّةِ لِأَنَّ تَكُونَ لُغَةَ الْعِلْمِ وَالْبَحْثِ الْعِلْمِيِّ وَالتَّقَانَةَ مَرهُونٌ بِزَجَّهَا فِي الْمَعْرَكِ، وَحَمَلِ الْمَشْتَغَلِينَ بِالتَّعْلِيمِ وَالْبَحْثِ الْعِلْمِيِّ وَالتَّقَانَةَ عَلَى جَعْلِهَا لُغَةَ عَقُولِهِمْ وَأَلْسِنَتِهِمْ وَتَأْلِيفِهِمْ الْمَدُونِ.

ثالثاً- التَّعْرِيبُ الْمَنْشُودُ فِي هَذِهِ الْوَرَقَةِ:

التَّعْرِيبُ لُغَةً مَصْدَرُ الْفِعْلِ الْمَضْعُفِ «عَرَّبَ»، وَيُقَالُ: عَرَّبَ مَنْطِقَهُ إِذَا خَلَّصَهُ مِنَ اللَّحْنِ؛ وَعَرَّبَ الْأِسْمَ الْأَعْجَمِيَّ إِذَا تَفَوَّهَ بِهِ عَلَى مِنْهَاجِ الْعَرَبِ. وَالتَّعْرِيبُ تَهْدِيبُ الْمَنْطِقِ مِنَ اللَّحْنِ.

أَمَّا فِي اصْطِلَاحِ الثَّقَافَةِ الْعَرَبِيَّةِ الْمَعَاصِرَةِ فَيَعْنِي «التَّعْرِيبُ» خَمْسَةَ مَقَاصِدَ

حصّرها بعضهم<sup>(٩)</sup> بما يأتي:

١ - التصرّف في النصوص والأعمال الأجنبية المترجمة إلى العربية بجعلها أكثر ملاءمةً للفكر والوجدان العربيين. ويكون ذلك بترجمة الخلاصة العامة للأثر أو فكره الرئيسي، أو إقحام فكرٍ عربيّ في نسيجه، أو إعمال يد التعديل أو الحذف فيه. وفي الجملة، هو تقريبُ روح الأثر الأجنبيّ المعرّب من الروح العربيّ والذاتقة العربيّة.

٢ - ترجمة الأثر الأجنبيّ إلى العربية. ويرى بعضهم أن يُطلق على النقل من أيّة لغةٍ من اللغات إلى العربية اسمُ «التعريب»؛ وأن يُطلق على النقل من أيّة لغةٍ من اللغات إلى غير العربية اسمُ «الترجمة». فترجمة أيّ أثرٍ من غير العربية إليها هي «تعريبٌ» له لا ترجمةٌ.

٣ - تعريب الألفاظ الاصطلاحية المنقولة من اللغات المختلفة إلى العربية؛ وذلك بقبول الاسم الأعجميّ أو المصطلح الأعجميّ في العربية بعد التفوّه به ونطقه على منهاج العرب وطريقتهم. ويسمّى اللفظ الذي يخضع لهذه العملية «المعرّب». فالتعريب هنا تغييرٌ يُحدثه العربُ في الأسماء والمصطلحات الأعجمية التي يُحتاج إلى إدخالها إلى العربية من جهة بنيتها وصورتها اللفظية، لا من جهة المراد منها. وقد استعملته العربية قديماً، ويُستعمل في الوقت الراهن. وللعلماء في قبوله واستعماله مذاهبٌ مختلفة.

٤ - تدريس العلوم المختلفة في الجامعات والمؤسسات التعليمية العليا باللغة

(٩) في شأن هذه المقاصد يُنظر بحث الأستاذ الدكتور كمال بشر، أمين عام مجمع اللغة العربية في القاهرة، في كتاب الدكتور محمود فوزي المناوي: أزمة التعريب (سابق) ص ٨٩-٩٣.

العربية، وتأليف الكتب الدراسية التي يُحتاج إليها في دور العلم هذه باللغة العربية، واعتماد العربية لغة لكل ما يتصل بالعلم والبحث العلمي والتشرف في هذه الجامعات والمؤسسات؛ وهو ما يُعرف بـ «التعريب اللغوي للعلوم».

٥ - التعريب الفكري، الذي يعني جعل العربية لغة للتفكير والتصوير والتخيل، وينشأ عن ذلك بسهولة ويُسر اعتماد العربية لغة للتدريس والبحث العلمي والإنشاء والتأليف في الأفرع الدراسية المختلفة. وممن دعوا إلى هذا الضرب من «التعريب» كمال بشر، الأمين العام لمجمع اللغة العربية في القاهرة. وقد أراد كمال بشر من ذلك تنشيط الإبداع الفكري والعلمي العربي؛ أي أن يكون العلماء العرب مشاركين في البحث العلمي الحقيقي اختراعًا وكشفًا في مؤسساتهم العلمية ومختبراتهم البحثية، صائغين نتائج بحوثهم وتجاربهم بلغة عربية موصلة لمقاصدهم مبيّنة لمراداتهم. وقد فطن كمال بشر إلى أمر مهم في الشأن الذي نحن إزاءه، وهو أن التعريب الفكري هو الذي يحرر رقابنا من عبودية التبعية الفكرية لمنتج العلم، أيًا كان.

وسنسط القول في النوعين الأخيرين من التعريب؛ لأنهما مقصودنا من

تعريب العلوم الأساسية والتطبيقية.

- التعريب الفكري:

يعني التعريب الفكري للعلوم الأساسية والتطبيقية أن يفكر العلماء والباحثون والخبراء العرب المتخصصون في هذه العلوم، ويتصوروا ويتخيّلوا

ويحاكموا، ويؤدّوا كلّ الأعمال العقلية المتصلة بالابتكار والكشف والإبداع في هذه العلوم، بمنطق اللغة العربية وعقليتها وبنيتها الدلالية والتعبيرية. ويعني هذا عملياً أن يُسهموا، بلسانهم العربي، في حركة الإبداع العلمي العالمية، وأن تألف ذهنيّاتهم العربيّة طرائق البحث العلميّ واستيعاب الأصول النظرية لهذه العلوم، وتمثّل أدقّ النقاط فيها. ذلك لأنّ المعارف العلميّة، أيّاً كان مصدرها، مادّةٌ مُتاحةٌ، في مقدور العلماء والباحثين والخبراء والأساتذة العرب اختزائها في عقولهم وتمثّل عناصرها ودقائقها، والبناء عليها والاشتقاق منها وكشف مجاهل فيها لم تطأها أقدام عقول الآخرين من غير العرب. والتعريبُ الفكريُّ هنا هو أن تحصل عملياتُ «الابتداع والابتكار والإضافة والتجديد أو التعديل والتطوير»<sup>(١٠)</sup> بآلياتِ العقلِ العربيّ في التفكير والتصور والتخيّل والكشف والبرهنة.

ويُعنى «التعريبُ الفكريُّ» بتوفيرِ حاضنٍ علميٍّ تقانيٍّ عربيٍّ مشبعٍ بروح الإبداع والابتكار والاكتشاف في العلوم المختلفة، على نحوٍ يهيئ لتفجير طاقات أجيالٍ متتابعةٍ من العلماء والباحثين العرب الذين تألف عقولهم منهجياتِ العملِ العقليّ الإبداعيّ العربيّ، وتتجمّع حصائلُ خبراتهم ومعارفهم على امتدادِ زمنيّ طويلٍ مدوّنةٌ بلُغةٍ عربيّةٍ ذات مستوى مقبول من الدقّة والضبط والسلامة. ويعملُ هذا المنجزُ المتراكم في صورة القوّة الدافعة أو الزّخم momentum أو impetus، الذي يُفضي إلى تقدّمٍ مطّردٍ دائمٍ.

(١٠) أزمة التعريب، ص ٩٢.

وحيث تكون عمليات التفكير والتخيّل والتصوّر والاستنباط والاكتشاف، في ميادين العلوم الأساسية والتطبيقية، بمنطق اللغة العربية ومنهجيتها، ينشأ التعبير عن معطياتها ومحصلاتها باللغة العربية؛ فالفكر في مظهر من مظاهره لغة، واللغة في جانب من جوانبها فكر. ومن هذه الوجهة يقول كمال بشر: «إنّ التعبير اللغوي العربي يولده التفكير العربي»<sup>(١١)</sup>.

وإذا كان ما قدّمناه هنا يوضّح لنا مفهوم «التعريب الفكري»، فما السبيل إلى تحويله ثقافة يستشعر العلماء والباحثون والخبراء ضرورة تبنيها والعمل بمستلزمات مبادئها والإصرار على سلوك طريقها، أيًا كانت العقبات التي تُقتحم في هذا الطريق. وههنا مجموعة من الموجّهات المساعدة في هذا الشأن:

- ١ - تعزيز الإيمان المطلق بالفرضية التي تقول إنه لا تقدّم علمياً للعرب من دون «التعريب الفكري»، وإدخال هذا المفهوم ومستلزماته في دساتير الدول وفي ما يُعرف بـ «رسالة» المؤسسة العلمية والتعليمية العربية، أيًا كانت هذه المؤسسة.
- ٢ - توطيّن العِلْم برعاية حواضنه والاهتمام بالبرّزين في أفرعه، وإعداد المجتمع نفسياً للإئفاق عليه بسخاء، ومن دون تردد.
- ٣ - التّربية الوطنيّة للأجيال الشّابة، ممّن يُعدّون لكي يكونوا علماء المستقبل، على عقيدة «التّعريب الفكري»؛ لكي يغدو ذلك سلوكاً فكرياً وعملياً محبباً لديهم.
- ٤ - إعداد الأجيال الشّابة من العلماء والباحثين والخبراء وأساتذة الجامعات

بنوعين من المعرفة والخبرة:

آ- هَضُمَ المنجَزَ العلميَّ والتَّقَانِيَّ العَالَمِيَّ فِي الصُّورَةِ الأَخِيرَةِ الَّتِي وَصَلَ إِلَيْهَا،  
بَلُغَتِهِ الأَصْلِيَّةِ، فِي التَّخْصُّصِ المَحْدَدِ.

ب- التَّمَكَّنُ مِنَ العَرَبِيَّةِ السَّلِيمَةِ مَفْرَدَاتٍ وَعِبَارَاتٍ وَطَرَائِقَ تَعْبِيرٍ  
وَمِصْطَلِحَاتٍ فَنِيَّةٍ، فِي التَّخْصُّصِ المَخْتَارِ.

وَفِي هَذَا المَعْنَى يَقُولُ كِهَالِ بَشْرٍ: «وَمَعْلُومٌ بِالضَّرُورَةِ أَنَّ التَّفَكِيرَ العَرَبِيَّ المَوْلَدَ  
لِلتَّعْبِيرِ بِالعَرَبِيَّةِ يَحْتَاجُ إِلَى مَخْزُونٍ عَقْلِيٍّ مِنْ هَذِهِ اللُّغَةِ، وَحَصِيلَةٌ مِنْ نُظُمِهَا  
وَأَسَالِيِبِهَا مَنَاسِبَةٌ لِلتَّخْصُّصِ أَوْ العِلْمِ المَعْيَنِ. فَإِذَا كَانَ هَذَا التَّخْصُّصُ، أَوْ ذَلِكَ  
العِلْمُ، جَدِيدًا بِالنِّسْبَةِ إِلَى الدَّارِسِ أَوْ غَيْرِ مُسْتَقَرِّ الأَصُولِ عِنْدَهُ، فَلَا مَنَاصَ لَهُ  
مِنَ العَوْدِ إِلَى لُغَةِ الأَصْلِ وَالتَّفَكِيرِ بِهَا، حَتَّى يَسْتَوْعِبَ وَيَهْضِمَ، ثُمَّ يُخْرِجُ - بَعْدُ -  
مَا يَسْتَوْعِبُ وَيَهْضِمُ بِعِبَارَاتٍ عَرَبِيَّةٍ»<sup>(١٢)</sup>.

٥- فَرَضُ العَرَبِيَّةِ لُغَةً لِلعِلْمِ وَالبَحْثِ العِلْمِيِّ وَالتَّقَانَةِ، بَعْدَ تَأْمِينِ مَوْسَسَاتِ  
التَّنْمِيَةِ البَشَرِيَّةِ الَّتِي تَتَوَلَّى الرِّعَايَةَ المُسْتَمْرَةَ لِلْمُنشَغَلِينَ بِذَلِكَ.

التَّعْرِيبُ اللُّغَوِيُّ:

يَعْنِي التَّعْرِيبُ اللُّغَوِيُّ، فِي السِّيَاقِ الَّذِي نَحْنُ فِيهِ، اعْتِمَادَ العَرَبِيَّةِ لُغَةً لِلعِلْمِ  
والبَحْثِ العِلْمِيِّ وَالتَّقَانَةِ وَالتَّدْرِيسِ فِي أَقْسَامِ العِلْمِ الأَسَاسِيَّةِ وَالتَّطْبِيقِيَّةِ فِي  
الْجَامِعَاتِ وَفِي مَرَاكِزِ البَحْثِ وَالمَخَابِرِ وَالمَجَلَّاتِ العِلْمِيَّةِ. وَقَدْ حَدَّدَهُ عَبْدُ الكَرِيمِ

خليفة، رئيس مجمع اللغة العربية الأردني، في بحثه الذي قدمه في المؤتمر الثامن والخمسين لمجمع اللغة العربية في القاهرة عام ١٩٩٢م، إذ قال: «التعريب هو تحويل الجامعات والكليات الجامعية والمعاهد العليا التي تضم مئات الأقسام العلمية، من التدريس باللغات الأجنبية مثل الإنكليزية والفرنسية وغيرهما إلى التدريس باللغة العربية، واعتماد اللغة العربية لغة للتدريس الجامعي والبحث العلمي والتقنيات الحديثة»<sup>(١٣)</sup>.

وقد خطت بعض الدول العربية خطوات في هذا المجال، ويسجل لسورية سبق وتقدم في هذا المضمار. وفي مقدورنا القول إن التجربة السورية تقدم نموذجاً عملياً للتعريب اللغوي في مؤسسات التعليم العالي ومراكز البحث العلمي. فالتعليم المعتمد على المحاضرات النظرية والعملية، والكتب الدراسية والدوريات العلمية، كلها باللغة العربية. ويخضع أعضاء هيئة التدريس والمعيدون والفنيون لاختبارات في العربية تحديداً وكتابةً. ويصحح الكتاب الجامعي لغوياً، وتعد الرسائل الجامعية بلغة عربية أدنى إلى السلامة، وتُنشر مجلات البحوث الجامعية بحوث الأساتذة وطلبة الدراسات العليا باللغة العربية. وتكون فعاليات المؤتمرات العلمية والندوات وحلقات النقاش بالعربية. ولا يعني هذا إهمالاً للغات العلم الحديث، كالإنكليزية والفرنسية والألمانية واليابانية. فمعظم أعضاء الهيئات التدريسية في الأقسام العلمية

المختلفة متخرجون في جامعات غربية، و متمكنون من لغات الجامعات التي تخرجوا فيها. كما أن السنوات الأخيرة شهدت اهتماماً كبيراً بلغات العلم الحديث في الأقسام العلمية المختلفة في الجامعات السورية، وأنشئت معاهد عالية لتعليم اللغات المختلفة في الجامعات السورية جميعاً. وتحظى اللغة العربية برعاية خاصة من أعلى الهرم في الدولة السورية. ويبدأ مجمع اللغة العربية في دمشق الذي أنشئ عام ١٩١٩م، جهداً كبيراً في التعريب اللغوي؛ بإعداد المعجمات الثلاثية اللغات، أو الثنائية اللغات، التي تقدم مقابلات عربية لمصطلحات العلوم المختلفة في لغات العلم الحديث الرئيسة. وفي المجمع عدد من اللجان المتخصصة التي تتولى تعريب المصطلحات العلمية في العلوم الأساسية والتطبيقية. ويعقد المجمع مؤتمراً سنوياً يتناول فيه قضية أساسية من قضايا العلم واللغة العربية، على المستوى العربي كاملاً. وأديرت أوراق المؤتمر الأخير للمجمع، في أواخر العام ٢٠١٠م، حول «لغة الكتابة العلمية»؛ أما المؤتمر القادم للمجمع فموضوعه التمكين للغة العربية، واللغة العربية ومجتمع المعرفة. كما عرفت سورية في السنوات الأخيرة لجنةً علياً يُطلق عليها «لجنة التمكين للغة العربية»، ولها أفرع في المحافظات السورية المختلفة، وتقوم بأنشطة وفعاليات كثيرة.

واختيارنا التمثيل بالتجربة السورية في موضوع التعريب اللغوي للعلوم الأساسية والتطبيقية، لا يعني أنها حققت مرتبة الكمال وضمنت كل ما يُصبى إليه

في هذا المجال، بل منتهى الأمر في هذا أن مسافاتٍ جيّدةً قُطعت في هذه السبيل، ولا غنى عن المثابرة والمواصلة. ولا يجانب المرء الصواب حين يقول إنَّ خرّيج الأقسام العلميّة في الجامعات السّوريّة ليس أدنى مستوى من أشباهه في الأقسام العلميّة في الجامعات العربية التي تدرّس بلغات العِلْم الحديث، إن لم نقل إنّه يتفوّق عليهم في بعض النواحي.

ولابدّ من التذكير، هنا، بأنّ التعريب الفكريّ إذا ما تحقّق على النحو الذي حدّدناه قبل، يسهّل كثيرًا التعريب اللّغويّ لدى العلماء والباحثين والخبراء المشتغلين بالعلوم الأساسيّة والتطبيقية؛ فإنّ الإنسان على الحقيقة يفكّر من خلال اللّغة، ويصعب تحيّل تفكيرٍ من دون لُغة.

رابعًا - ضروراتُ هذا التعريب:

التعريبُ الذي تحدّثنا عنه، بنوعيه، تستلزمه ضروراتٌ علميّة ولغويّة وقوميّة واجتماعيّة، تستشعرها جيّدًا الأُمّة العربيّة الحيّة التي ترفض الدّونية والتخلّف والضعف والتبعية، وتسعى لبناء ذاتها وهويّتها وشخصيّتها القوميّة المتميّزة. ولعلّ التفصيل في هذا الشأن ممّا يقوّي الإحساس بضرورة هذا التعريب:

١ - الضرورات العلميّة:

يساعدُ تعريبُ العلوم الأساسيّة والتطبيقية، بالمفهوم الذي قدّمناه، على بناء شخصيّتنا العلميّة العربيّة الخاصّة بنا، التي هي أقدّر على تحديد إمكانات واقعا وما نواجهه من حاجات، والعمل بفعاليّة على رَبط العلم والبحث بحاجات

المجتمع. ويسهّل تنمية الطّاقات الإبداعية لأبنائنا واستثمارها في الحدود القصوى؛ لأنّ التفكير والتصوّر والتخيّل والتعلّم باللّغة الأمّ يفتح أبواب الكشف والابتكار والاختراع في ذهن المتعلّم. وفي هذا المعنى يقول أحد أساتذة الصّيدلة العرب: «إنّ تفهّم الطالب للّغة المحاضرة والشرح كان يعفيه من بذل جهد مضاعف ينصرف نصفه لفهّم اللّغة والتعرّف على المفردات الصّعبة في اللّغة الأجنبية التي يدرس بها. وينصرف النّصف الآخر من الجهد لاستيعاب المادّة العلميّة نفسها، فضلاً عمّا يعتور ذهن الطالب أحياناً من غموض في المعنى أو نقص فيه يختلّ معه بناء المعلومات، أو تُنقل إليه بغير الصّورة المقصودة من المحاضرة»<sup>(١٤)</sup>. وقد كان «كلوت» بك، مدير مدرسة الطّب المصريّة في بداياتها، حريصاً جدّاً على تعريب المقرّرات الطبيّة وترجمتها من الفرنسيّة إلى العربيّة، وأثر عنه قوله: «إنّ التعليم بلغة أجنبيّة لا تحضّل منه الفائدة المنشودة، كما لا ينتج عنه توطيّن العِلْم أو تعميم نفعه»<sup>(١٥)</sup>.

## ٢ - الضرورات اللّغويّة:

إنّ إبعاد اللّغة العربيّة عن مجالات العِلْم والتّقانة يعني إبعادها عن دائرة الحياة، وينشأ عن ذلك شيئاً فشيئاً تقليل محصولها من المفردات والمصطلحات العلميّة، وإضعاف طاقاتها الكامنة، وتحويلها إلى لغة هامشيّة مهمّلة. ويعمل ذلك، بتقدّم العهد، على نموّ تصوّر خاطئ يقول بعقمها وتحجرها وعجزها.

(١٤) محمّد حسن عبد العزيز: التعريب في القديم والحديث، دار الفكر العربيّ، القاهرة ١٩٩٠م،

ص ٢٧٣.

(١٥) أزمة التعريب، ص ٤٦.

ويعني ذلك من وجهةٍ أخرى حرمانها من أن تكون لغةً المبدعين والمتفوقين عقلياً من أبناء المجتمع، وصيرورتها لغةً للعوامِّ والطَّغام. وفي هذا المعنى يقول كمال بشر: «مُنحُ العربيَّةِ فرصةَ التفاعل في البيئات العلميَّةِ يزيدُ من ثروتها، وينمِّي محصولها، كما يساعدُ الدَّارسين على التفكير بها؛ الأمرُ الذي يُوَدِّي إلى إلفها والتعامل بها؛ وبذلك ينزاح عنها توهمُ ضَعْفها واتِّهامها بالعجز عن ملاحقة العلوم وما يجدُّ فيها من تطوُّر»<sup>(١٦)</sup>.

ويعملُ التعريبُ الذي نقصد إليه هنا على شَحْذِ الهِمَمِ واستنفادِ الطَّاقات في تهيئةِ العربيَّةِ لأن تكون لغةَ العِلْمِ والبحثِ العلميِّ والتَّقانة. وإذا كانت الحاجةُ أمَّ الاختراع، كما يُقال، فإنَّ زَجَّ العربيَّةِ في مضائق العِلْمِ والبحثِ العلميِّ يدفع المشتغلين في هذه المجالات إلى إعمالِ طاقات العربيَّةِ الكامنة في الاشتقاق والنَّحت والقياس، والعودِ إلى مكانزها وما تنطوي عليه من ذخائر. ذلك أنَّ «حركةَ تعريب الفكر والعِلْمِ والتعليمِ نجاحُها مرهونٌ من جهتنا بما نبذله من عملٍ جادٍّ في تطويع العربيَّةِ بتوسيعِ أقيستها وضوابطها والكشف عن ذخائرها من الألفاظ والصِّيغ والأساليب؛ لتواكب الحركة العلميَّةَ بغير تمهّل، وبما تُبديه من جراءة في تحطيم الحواجز اللُّغويَّةِ التي تعوق تلك الحركة»<sup>(١٧)</sup>.

### ٣ - الضَّرورات القوميَّة:

الإصرارُ على إقصاء العربيَّةِ عن حمى العِلْمِ والبحثِ العلميِّ والتَّعليم، وإيثارُ

(١٦) أزمة التعريب، ص ٩٥.

(١٧) التعريب في القديم والحديث، ص ٧.

اللغات الأجنبية عليها في هذا الشأن، يوهن الرباط الذي يشد العرب بعضهم إلى بعض، ويُضعف انتماءهم إلى أوطانهم. وعندما يترسخ ذلك ويستحكم يُنشئ أجيالاً من العلماء والباحثين والأساتذة ليس لهم هوية، ويكون انتماءهم إلى الأجنبي الذي يفكرون بلغته، ويتصورون ويتخيلون ويعلمون، أقوى من انتمائهم إلى بني قومهم. فالمنطقة من الدماغ التي يحصل فيها الكشف العلمي والاستنباط والاختراع هي نفسها التي تحصل فيها التصورات الأخلاقية والقيمية، ويتأثر عملها كثيراً باللغة التي تعتمد عليها. وفي هذا المعنى يقول المفكر الياباني توشيهيكو إيزوتسو، المتمكن تماماً من عدد كبير من اللغات ومنها العربية:

«إنَّ كلَّ واحدةٍ من كلماتنا تمثل منظوراً خاصاً نرى فيه العالمَ. وما يُسمى «مفهوماً» ليس سوى بلورةٍ لمثل هذا المنظور الدّاتي؛ أي إنه شكلٌ ثابتٌ يفترضه المنظور. والمنظور المقصود هنا اجتماعيٌّ؛ لأنّه الملكيّة المشتركة لجماعةٍ كاملة؛ هذه الملكيّة المنحدرة من العصور السابقة بفضل التقليد التاريخي. وبرغم ذلك، هو ذاتيٌّ بمعنى أنّه يُفضي إلى شيء من الاهتمام البشريّ الفعّال الذي يجعلُ تمثيلنا المفهوميّ للعالم ليس نسخةً دقيقةً للواقع الموضوعيِّ»<sup>(١٨)</sup>.

نعم، عملُ العقل في إدراك المفهومات والتصوّرات يتأثر باللّغة التي يعتمد عليها تأثراً كبيراً. فحالة العقل عند إدراك مفهوم كلمة «الكُفر» العربية مثلاً تختلف عنها عند إدراكه مفهوم مقابلتها الإنكليزية disbelief. وفي هذا يقول

(١٨) توشيهيكو إيزوتسو: المفهومات الأخلاقية الدّينية في القرآن، ترجمة عيسى علي العاكوب، دار

إيزوتسو: «الموقف العقليُّ الكامل الذي يؤلّف الأساس للبنية المفهوميّة لـ «كُفر» يضيع متى بدأنا بفهمها بمنطق المفهوم الإنكليزيّ لكلمة disbelief<sup>(١٩)</sup>.

#### ٤ - الضّرورات الاجتماعيّة:

من الحقائق المقرّرة المؤيّدّة بالبرهان أنّ حجب لغتنا العربيّة عن أن تكون لغّة للعلم والبحث العلميّ والتّقانة، وفسح المجال تمامًا للغات الأجنبيّة لكي تحتلّ مكانها، مدعاةٌ إلى نشوء إحساس اجتماعيّ بدوئيّة العربيّة وضالّة إمكاناتها وقدراتها التعبيريّة والبيانيّة؛ الأمر الذي ينشأ عنه، عن قَصدٍ أو غير قَصدٍ، ازدراءٌ كلّ ما هو وطنيٌّ وقوميٌّ ومحليٌّ، وإعلاءٌ شأنٍ لكلّ ما هو أجنبيّ. ويعمل ذلك أيضًا على إشاعة روح التقليد والتبعيّة، وتصنيف النّاس اجتماعيًّا على أساس اللّغات التي يتقنونها أو يقدرّون على التعامل بها. وربّما نستطيع المضيّ إلى القول إنّ الأخذ بهذا المبدأ يفضي أحيانًا إلى ظهور أفرادٍ يרטنون بلغات أجنبيّة، لكنهم فارغون فكريًّا وعلميًّا وقيميًّا، ناهيك عن أفرادٍ يتباهون بخلط عربيّتهم الهزيلة بألفاظٍ وعباراتٍ من لغاتٍ أخرى؛ وفي هذا ما فيه من ضروب الفساد.

#### خامسًا - أدوات هذا التعريب:

لا يشك أحدٌ في أنّ التعريب الفكريّ واللّغويّ للعلوم الأساسيّة والتطبيقية، في الجامعات ومراكز البحث في البلدان العربيّة، من الأمور التي دونها سُدودٌ كثيرة يستدعي تخطّيها جهودًا مضمنيّةً وطاقاتٍ خلاقةٍ توجّه التوجيه السديد المفضي إلى تحقيق المراد، بمشيئة الله سبحانه. لكنّه حين يدرك أنّ ذلك هو الشرطُ

الأول للحاق بركب التقدم العلمي المنطلق بسرعة مذهلة، في عالم لا مكان فيه لمن ضعفت هممهم وخارت قواهم، يكون تبيّنه والأخذ بأسبابه والمسارة إلى تنفيذ مخططاته من قبيل ما يُعرف بقضايا المصير، أو الحياة والموت؛ إذ الأمر كما يقول شاعرٌ مجاهد:

فإِمْ حَيَاةٌ تَسْرُ الصِّدِيقُ وَإِمْ مَاتٌ يُغِيظُ الْعِدَا

وفي تناول المتأمل أن يقدم مقترحاً من مجموعة مبادئ، يُساعد تبيّنها وتنفيذ

مطالبها مساعدة كبيرة في تحقيق التعريب الذي نريده في هذه الورقة:

١ - العمل على كل ما من شأنه أن يجعل تحقيق هذا التعريب «عقيدة» يؤمن بها المجتمع كله رعاة ورعية، صغاراً وكباراً، عقيدة شبيهة بعقيدة تحرير الأوطان من المحتل الجاثم على الصدر، الجاعل الحياة كالموت. ومن وسائل ذلك النص على ضرورة تحقيقه في دستور الدولة، وإدخاله في خطط عمل الحكومات، وإشاعة ثقافته في وسائل الإعلام المختلفة على أنه قضية مصيرية لا تحتمل الإرجاء، ناهيك عن الإهمال.

٢ - جعله قسداً أساسياً موجّهاً في الرسالة التعليمية لوزارات التربية ووزارات التعليم العالي ومراكز البحث العلمي والجهات المختلفة التي تتولى التعليم والتدريب والتأهيل. ويستدعي ذلك إعداد المعلمين جميعاً، أيًا كانت المقررات التي يتولون تعليمها والمراحل التعليمية التي تقع فيها هذه المقررات، الإعداد المطلوب في اللغة العربية.

٣ - في التعليم العالي خاصة، يُعمل بكل الوسائل على جعل «عقيدة التعريب» جزءاً أساسياً، مساوياً في المقدار لأساس التحصيل العلمي المطلوب، مما ينبغي أن يؤمن به عضو هيئة التدريس الذي تأتمنه الأمة على إصلاح عقول أبنائها والارتقاء بهم إلى المستوى الذي يؤهلهم لخوض غمار الحياة العلمية والعملية

باقتدارٍ وتمكّن. والأمرُ هنا مثلما يقول أحدُهم: «لا سبيلَ إلى تعريبِ التّعليمِ العالِي والجامعيِّ ما لم يؤمّنْ بذلك الأستاذُ، وما لم تُرَسَّخْ في ذهنه قناعةٌ قويّةٌ بأهميّةِ التّعريبِ باعتباره قضيةً قوميّةً ووسيلةً فعّالةً للارتقاءِ بمستوى التّعليمِ ودفعِ حركتهِ خطواتٍ بناءً فسيحةً إلى الأمام، وأن تتوفرَ بجانبِ هذه القناعةِ وهذا الإيمانِ أحدثُ المراجعِ العلميّةِ باللّغةِ العربيّةِ»<sup>(٢٠)</sup>.

٤- إخضاعُ المعلّمين والمدرّسين وأساتذة الجامعات لبرامجٍ تأهيلٍ متواصلٍ في اللّغة العربيّة، يُربطُ به التّرقّياتُ والتعيينُ في الوظائفِ الأعلى، ويكافأُ المبرّزون في مطالبه ومستلزماته مكافآتٍ ماديّةٍ ومعنويّةٍ.

٥- إحداثُ هيئةٍ عليا مرتبطةٍ بأعلى سُلطةٍ في البلد تُسمّى «الهيئةُ العُلّيا لتعريبِ العلوم»، تتولّى التخطيطَ والتنفيذَ والإشرافَ والمتابعةَ وكلّ ما من شأنه أن يُحوّلَ حُلْمَ التّعريبِ المنشودِ إلى حقيقة. ويشمل ذلك وضعَ الخططِ والبرامجِ، وإعدادَ الجماعاتِ المؤهّلةِ لترجمة أحدثِ المراجعِ العلميّةِ إلى العربيّة، وتأليفَ الكتبِ الدراسيّةِ، وتعريبَ المصطلحاتِ العلميّةِ، وتأهيلَ المدرّسين للتدريسِ بالعربيّة. وتؤمّنُ لهذه الهيئةِ الميزانياتُ الكافية، وجهازُ الرّقابةِ والمتابعةِ المؤهّلُ والمؤتمّنُ والحريصُ جدًّا على أداءِ هذه الرسالة<sup>(٢١)</sup>.

(٢٠) التّعريب في القديم والحديث، ص ٢٧٤.

(٢١) انظر مقترحاتٍ مشابهةً لإحداثِ التّعريبِ المنشودِ في: عبد الكريم خليفة: اللّغة العربيّة والتّعريب في العصر الحديث، الطبعة الخامسة، دار الفرقان للنشر، عمّان ١٤١٨هـ/١٩٩٧م، ص ١٩٧ وما بعد؛ وندوة التّعريب في التّعليم العالِي، وزارة التّعليم العالِي السوريّة، دمشق ١٤٢٤هـ/٢٠٠٣م، الجزء الثاني، ص ٣٠٦ وما بعد؛ وسعيد حارب: التّعريب والتّعليم العالِي، جمعيّة حماية اللّغة العربيّة في الشّارقة ١٤٢١هـ-٢٠٠٠م.

### سادسًا - خلاصةٌ ومحصلٌ نهائيٌّ:

عاجلت هذه الورقةُ التعرّيبَ الفكريَّ واللّغويَّ للعلومِ الأساسيَّةِ كالرياضياتِ والفيزياءِ والكيمياءِ وعلومِ الحياة والنّبات والحيوان والأرض، والعلومِ التّطبيقيةِ التي لها تطبيقاتٌ في الحياة العمليَّة؛ فحدّدت المفهومَ تحديداً واضحاً، ووقفت على الضروراتِ المختلفة التي تستلزم هذا التعرّيب، والأدواتِ العمليَّة لتنفيذه. وفي تضاعيف محاكمة هذه القضايا ومناقشتها، أثبتت الورقةُ أنّ شمسَ اللّغة العربيَّة لن تأفلَ لأئبها «اللّسانُ العربيُّ المبينُ»، الذي جاء به البيانُ الإلهيُّ للنّاس، في خاتمة رسالاتِ السّماءِ إلى الأرض. ولأنّه «لا رسالةٌ بعد هذه الرّسالة»، ولأنّ مضمونَ هذه الرّسالة هو المرادُ الإلهيُّ من البشَر وهو مرادٌ دائمٌ لا يتوقّف، ستستمرُّ، إن شاء الله، حياةُ هذه اللّغة استمرارَ حياة البشَر المتوسّمين لآيات الله سبحانه في التّدوين والتكوين. وأظهرت الورقةُ قابليَّة اللّغة العربيَّة لأن تكون لُغة العِلْم تفكُّراً وتصوراً وتخيلاً وتعلّماً وتألّيفاً. وحدّدت الورقةُ خمسةَ مفهوماتٍ متداولة في هذا الزّمان للتعريب، وفصّلت القولَ في التعرّيب الفكريِّ للعلومِ الأساسيَّة والتطبيقيةِ الذي يعني، فيها، أنّ يفكّر العلماءُ والباحثون والخبراءُ العربُ المتخصّصون في هذه العلوم، ويتصوّروا ويتخيّلوا ويحاكموا، ويؤدّوا كلّ الأعمالِ العقليَّة المتّصلة بالابتكار والكشف والإبداع في هذه العلوم، بمنطق اللّغة العربيَّة وعقليّتها وبنيتها الدلاليَّة والتعبيريَّة. ثمّ بسطت القولَ في التعرّيب اللّغويِّ الذي يُراد منه اعتمادُ العربيَّة

لُغَةً لِلْعِلْمِ وَالْبَحْثِ الْعِلْمِيِّ وَالتَّقَانَةِ وَالتَّدْرِيسِ فِي أَقْسَامِ الْعُلُومِ الْأَسَاسِيَّةِ وَالتَّطْبِيقِيَّةِ فِي الْجَامِعَاتِ وَمِرَاكِزِ الْبَحْثِ وَالْمَخَابِرِ وَالْمَجَلَّاتِ، وَقَرَأَتْ شَيْئًا مِنْ أَدَبِيَّاتِ التَّجْرِبَةِ السُّورِيَّةِ فِي هَذَيْنِ التَّوَعِينِ مِنَ التَّعْرِيبِ؛ وَانْتَهَتْ فِي شَأْنِ الْعِلَاقَةِ بَيْنَهُمَا إِلَى أَنَّ التَّعْبِيرَ اللَّغَوِيَّ الْعَرَبِيَّ يُولِّدُهُ التَّفَكِيرُ الْعَرَبِيَّ.

وَوَقَفْتُ الْوَرَقَةَ عِنْدَ ضَرُورَاتِ التَّعْرِيبِ الْمَعْنِيِّ، الَّتِي جَاءَتْ عِلْمِيَّةً تَمَثِّلُ، قَبْلَ كُلِّ شَيْءٍ، فِي بِنَاءِ الشَّخْصِيَّةِ الْعِلْمِيَّةِ الْوَطْنِيَّةِ، الَّتِي تُحَدِّدُ إِمْكَانَاتِ الْوَاقِعِ وَتَرْبِطُ الْعِلْمَ وَالْبَحْثَ الْعِلْمِيَّ بِحَاجَاتِ الْمَجْتَمَعِ، وَفِي تَسْهِيلِ تَنْمِيَةِ الطَّاقَاتِ الْإِبْدَاعِيَّةِ لِأَبْنَاءِ الْوَطَنِ وَاسْتِثْمَارِهَا فِي الْخُدُودِ الْقُصُوصِ، وَفِي تَوْطِينِ الْعِلْمِ وَتَعْمِيمِ نَفْعِهِ. وَتَنَاوَلْتُ الْوَرَقَةَ ضَرُورَاتِ لُغَوِيَّةٍ لَتَعْرِيبِ الْعُلُومِ الْأَسَاسِيَّةِ وَالتَّطْبِيقِيَّةِ؛ إِذْ تَزْدَادُ الْعَرَبِيَّةُ بِالتَّعْرِيبِ غِنًى وَتَتَّسِعُ آفَاقُهَا وَتَغْدُو إِحْدَى لُغَاتِ الْعِلْمِ وَالتَّقَانَةِ، مِثْلَ كَثِيرٍ مِنْ لُغَاتِ الْأُمَمِ الْمَتَقَدِّمَةِ الْيَوْمَ. وَعَاجَلْتُ الْوَرَقَةَ ضَرُورَاتِ قَوْمِيَّةٍ لَتَّعْرِيبِ، تُظْهِرُهُ عَامِلًا قَوِيًّا فِي بَلُورَةِ الْهُوِيَّةِ الْقَوْمِيَّةِ، وَتَنْمِيَةِ حَسِّ الْإِنْتِمَاءِ إِلَى الْأُمَّةِ، وَالنَّفُورِ مِنَ التَّبَعِيَّةِ وَالْإِنْقِيَادِ لِلْأَجْنَبِيِّ. وَأَبْرَزْتُ الْوَرَقَةَ ضَرُورَاتِ اجْتِمَاعِيَّةٍ لَتَّعْرِيبِ تَجْعَلُ مِنْهُ أَدَاءً لِإِبْعَادِ إِحْسَاسِ اجْتِمَاعِيٍّ بَدُونِيَّةِ الْعَرَبِيَّةِ وَعَجْزِهَا عَنِ مَوَاكِبَةِ حَرَكَةِ التَّقَدُّمِ الْعِلْمِيِّ وَالتَّقَانِيِّ الْعَالَمِيِّ. وَفِي مَجَالِ أَدْوَاتِ التَّعْرِيبِ، اقْتَرَحْتُ الْوَرَقَةَ مَجْمُوعَةً مِنَ الْإِجْرَاءَاتِ الْعَمَلِيَّةِ الَّتِي لَا يُشَكُّ فِي أَنَّ تَطْبِيقَهَا التَّطْبِيقَ الصَّحِيحَ يُوَصِّلُ إِلَى التَّعْرِيبِ الْمَنْشُودِ.

وَمِنْ اللَّهِ، سُبْحَانَهُ، التَّوْفِيقُ وَالتَّسْدِيدُ.

مصادرُ المادّة العلميّة المستشهد بها:

- ١- توشيهيكو إيزوتسو: المفهوماتُ الأخلاقيّة الدّينيّة في القرآن، ترجمة عيسى علي العاكوب، دار الملتقى في حلب، ٢٠٠٨م.
- ٢- الثعالبي (عبد الملك بن محمّد بن إسماعيل، أبو منصور): فقهُ اللّغة وسرُّ العربيّة، تحقيق مصطفى السّقا وزميليّه، مطبعة مصطفى البابي الحلبيّ في القاهرة، ١٣٩٢هـ/١٩٧٢م.
- ٣- الرّاغب الأصفهانّي: مفرداتُ ألفاظ القرآن، تحقيق صفوان عدنان داوودي، دار القلم في دمشق، ١٤٢٣هـ/٢٠٠٢م.
- ٤- سعيد حارب: التّعريب والتّعليمُ العالمي، جمعية حماية اللّغة العربيّة في الشّارقة، ١٤٢١هـ/٢٠٠٠م.
- ٥- عبد الكريم خليفة: اللّغة العربيّة والتّعريب في العصر الحديث، دار الفرقان للنشر في عمّان، ١٤١٨هـ/١٩٩٧م.
- ٦- عمر أبو ريشة: ديوان عمر أبي ريشة، دار العودة في بيروت، ١٩٩٦م.
- ٧- قاسم سارة: التّعريب، جهود وآفاق، دار الهجرة في دمشق وبيروت، ١٤٠٩هـ/١٩٨٩م.
- ٨ - مجموعة باحثين: ندوة التّعريب في التّعليم العالمي، وزارة التّعليم العالي السّوريّة، دمشق ١٤٢٤هـ/٢٠٠٣م.
- ٩ - محمّد حسن عبد العزيز: التّعريب في القديم والحديث، دار الفكر العربيّ في القاهرة، ١٩٩٠م.
- ١٠- محمود فوزي المناوي: أزمةُ التّعريب، مركز الأهرام للترجمة والنشر في القاهرة، ١٤٢٤هـ/٢٠٠٣م.